

أميرة البرتقال

حديقة الطفل

أميرة البرتقال

بقلم

ابراهيم عزوز

ملتزمة الطبع والنشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي (الفجالة) بالقاهرة

ـ ١ ـ

جَلَسَ سَعِيدٌ مَعَ صَدِيقِهِ حُسَيْنٍ ، تَحْتَ شَجَرَتِهِ الْمُفَضَّلَةِ فِي الْبُسْتَانِ . وَكَانَ سَعِيدٌ مُهَنْدِسًا زِرَاعِيًّا ، مُتَخَصِّصًا فِي الْبَسَاتِينِ . . وَلَكِنَّهُ كَانَ يُعْنَى بِأَشْجَارِ الْبُرْتُقَالِ عِنَايَةً كَبِيرَةً ، وَيَعْرِفُ مِنْ حَيَاتِهَا ، وَأَطْوَارِ نُمُوِّهَا ، وَطُرُقِ عِلَاجِهَا مَا لَا يَعْرِفُهُ كَثِيرٌ مِنْ إِخْوَانِهِ وَزُمَلَائِهِ !! وَقَدْ عَرَفَ رُؤَسَاؤُهُ مَبْلَغَ اهْتِمَامِهِ بِدِرَاسَةِ

الْبُرْتُقَالِ ، فَجَعَلُوهُ مُشْرِفًا عَلَى بَسَاتِينِ بِنْهَا وَمَا يُجَاوِرُهَا مِنَ الْقُرَى وَالْبِلَادِ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْمِنْطَقَةَ مِنْ جُمْهُورِيَّتِنَا تَكْثُرُ فِيهَا زِرَاعَةُ الْمَوَالِحِ، الَّتِي مِنْهَا الْبُرْتُقَالُ ، وَالْيُوسُفِيُّ ، وَاللَّيْمُونُ !!

٭ ٭ ٭

تَعَلَّقَتْ عَيْنُ سَعِيدٍ وَهُوَ فِي جَلْسَتِهِ بِثِمَارِ الْبُرْتُقَالِ عَلَى الشَّجَرَةِ ، وَأَخَذَ يُلَاحِظُهَا ثَمَرَةً ثَمَرَةً ، وَيُبْدِي مُلَاحَظَاتِهِ عَلَيْهَا لِصَاحِبِ الْبُسْتَانِ ، كَأَنَّهُ أَبٌ يُلَاحِظُ أَطْفَالَــهُ الصِّغَارَ .. وَهُنَا اسْتَوْقَفَهُ حُسَيْنٌ قَائِلًا :

ـــ إِنِّي أَعْجَبُ مِنْ أَمْرِكَ يا سَعِيدُ !!

فِي الْبُسْتانِ تِينٌ وَعِنَبٌ وَخَوْخٌ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْفَوَاكِهِ ، وَلَكِنَّكَ لاتَهْتَمُّ بِأَشْجارِها، كَما تَهْتَمُّ بِالْبُرْتُقالِ دائِماً ، فَهَلْ تَرَى لِلْبُرْتُقالِ مِزِيَّةً خاصَّةً ، تُغْرِيكَ بِالْعِنايَةِ بِها ؟!

فَأَجابَ سَعِيدٌ وَهُوَ يُتابِعُ نَظَرَهُ إِلَى الثِّمارِ :

ـــ نَحْنُ الْآنَ عَلَى أَبْوابِ فَصْلِ الْخَرِيفِ ، وَالْمَوْسِمُ مَوْسِمُ الْبُرْتُقالِ ، فَتَجِبُ الْعِنايَةُ بِثِمارِهِ . أَمَّا التِّينُ وَالْعِنَبُ وَالْخَوْخُ، فَمَوْعِدُنا مَعَها فَصْلُ الرَّبِيعِ، حِينَما تُزْهِرُ وَتُثْمِرُ !!

فَقَالَ حُسَيْنُ :

ـ قَدْ يَكُونُ هَذَا سَبَباً ، وَلَكِنْ لِمَاذَا لَا نَهْتَمُّ بِالْيُوسُفِيِّ وَاللَّيْمُونِ الْحُلْوِ كَمَا تَهْتَمُّ بِالْبُرْتُقَالِ وَالْمَوْسِمُ مَوْسِمُ الْجَمِيعِ ؟!

وَكَانَ سَعِيدٌ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ قَدْ فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ مَعَ صَاحِبِ الْبُسْتَانِ ، الَّذِي شَكَرَهُ وَوَعَدَهُ أَنْ يُنَفِّذَ جَمِيعَ مُلَاحَظَاتِهِ وَتَعْلِيمَاتِهِ ، فَلَمَّا سَمِعَ آخِرَ كَلِمَاتِ حُسَيْنٍ ، ابْتَسَمَ وَقَالَ :

ـ صَدِّقْنِي يَا حُسَيْنُ أَنَّنِي أَشْعُرُ بِصَدَاقَةٍ وَثِيقَةٍ مَعَ شَجَرَةِ الْبُرْتُقَالِ ، وَأُحِسُّ رَاحَةً كُلَّمَا رَأَيْتُهَا

أَوْ جَلَسْتُ تَحْتَهَا .. بَلْ أَحْيَانًا أَحْلُمُ أَحْلَامًا سَعِيدَةً مُحَبَّبَةً .. حَتَّى فِي يَقَظَتِي !!

فَنَظَرَ إِلَيْهِ حُسَيْنٌ بِدَهْشَةٍ وَاسْتِغْرَابٍ ؛ فَقَالَ وَهُوَ يُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَى سَاقِ الشَّجَرَةِ ، وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى أَعْلَى وَيُغْمِضُ عَيْنَيْهِ ، وَكَأَنَّهُ يَتَذَكَّرُ شَيْئًا جَمِيلًا مَضَى :

ـــ إِنَّهَا صَدَاقَةٌ قَدِيمَةٌ يَا حُسَيْنُ ، بَدَأَتْ مُنْذُ كُنْتُ فِي السَّادِسَةِ مِنْ عُمْرِي ، حِينَ كُنْتُ أُحِبُّ الْقِصَصَ وَالْحِكَايَاتِ ، وَكَانَتْ جَدَّتِي تَحْتَالُ عَلَيَّ كُلَّمَا رَأَتْنِي أَرْفُضُ الطَّعَامَ أَوِ النَّوْمَ .. تَحْتَالُ بِذِكْرِ

قِصَّةٍ مِنْ قِصَصِهَا الْمُسَلِّيَةِ ! !

وَأَتذَكَّرُ أَنَّهَا حِينَمَا كَانَتْ تَبْدَأُ قِصَّتَهَا

كُنْتُ أَضَعُ أَوَّلَ لُقْمَةٍ مِنَ الطَّعَامِ فِي فَمِي ، أَوْ

أَضَعُ رَأْسِي عَلَى فَخِذِهَا وَأَتَمَدَّدُ ! !

وَلَكِنَّ قِصَّةً مُعَيَّنَةً مِنْ قِصَصِهَا الْكَثِيرَةِ ،

كَانَتْ ذَاتَ أَثَرٍ وَاضِحٍ فِي حَيَاتِي كُلِّهَا ، حَتَّى

عَقَدَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ شَجَرَةِ الْبُرْتُقَالِ هَذِهِ الصَّدَاقَةَ

الَّتِي تَرَاهَا الْآنَ يَا حُسَيْنُ ! !

* * *

فَقَدْ كَانَتِ اللَّيْلَةُ مِنْ لَيَالِي الشِّتَاءِ الْبَارِدَةِ ،

وَكُنَّا نَنَامُ مَعَ جَدَّتِى فِى حُجْرَةِ الْفُرْنِ كَمَا كَانَ كَثِيرٌ مِنْ سُكَّانِ الْقُرَى يَفْعَلُونَ فِى ذَلِكَ الزَّمَانِ .. وَفِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ قَالَتْ أُخْتِى سَمِيرَةُ ، وَكَانَتْ أَكْبَرَ مِنِّى قَلِيلاً :

ــ هَيَّا يَاجَدَّتِى احْكِى لَنَا حِكَايَةَ الأَمِيرِ الَّذِى تَزَوَّجَ بِنْتَ الْبُرْتُقَالَةِ .

فَقَالَتْ جَدَّتِى :

ــ ٢ ــ

صَلُّوا عَلَى النَّبِىِّ يَاأَوْلَادِى !!

كَانَ فِى قَدِيمِ الزَّمَانِ مَلِكٌ يَحْكُمُ دَوْلَــةً

كَبِيرَةً ، يَكْثُرُ فِيهَا الْخَيْرُ وَالرِّزْقُ ، وَتُرَفْرِفُ
عَلَى سُكَّانِهَا السَّعَادَةُ ، وَكَانَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ
وَيَرْجُونَ مِنَ اللهِ أَنْ يَطُولَ حُكْمُهُ فِيهِمْ ، لِأَنَّهُ
كَانَ يُعَامِلُهُمْ بِالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ ، وَلَا يَسْمَحُ
لِلْأَغْنِيَاءِ أَنْ يَغْتَصِبُوا حُقُوقَ الْفُقَرَاءِ ، وَلَا يُمَكِّنُ
الْأَقْوِيَاءَ مِنْ ظُلْمِ الضُّعَفَاءِ !!

وَكَانَ لِهَذَا الْمَلِكِ وَلَدٌ وَحِيدٌ يُسَمَّى
فَوْزَانَ . وَقَدْ رَبَّاهُ تَرْبِيَةً رَاقِيَةً ، وَأَعَدَّهُ
لِلْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَحَرَصَ عَلَى أَنْ يُزَوِّجَهُ بِنْتَ
أَمِيرٍ أَوْ وَزِيرٍ ، أَوْ قَائِدٍ مِنْ قُوَّادِهِ الشُّجْعَانِ ؛

لِيَضْمَنَ لَهُ الْقُوَّةَ وَالتَّأْيِيدَ مِنْ شَعْبِهِ .

وَلَكِنَّ الْأَمِيرَ فَوْزَانَ عِنْدَمَا بَلَغَ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ ، رَأَى حُلُماً عَجِيباً .. رَأَى كَأَنَّهُ فِي قَصْرٍ فَخْمٍ ، رُصِفَتْ أَرْضُهُ بِالرُّخَامِ الْمُلَوَّنِ الْجَمِيلِ ، وَصُنِعَتْ أَعْمِدَتُهُ مِنَ الْفِضَّةِ الْغَالِيَةِ ، أَمَّا سَقْفُهُ فَقَدْ مُوِّهَ (طُلِيَ) بِالذَّهَبِ ، وَرُصِّعَ بِعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ عَلَى هَيْئَةِ نُجُومٍ لَامِعَةٍ . وَفِي أَوْسَعِ حُجُرَاتِهِ غُرِسَتْ شَجَرَةٌ نَادِرَةٌ ، لَا يُشْبِهُهَا شَيْءٌ مِنَ الشَّجَرِ الَّذِي رَأَتْهُ عَيْنُ الْأَمِيرِ فِي حَدَائِقِ أَبِيهِ

الْكَثِيرَةِ ، مَعَ أَنَّهَا تَضُمُّ أَغْرَبَ الْأَشْجَارِ وَأَنْدَرَ الْفَوَاكِهِ . . وَمَا كَادَ يَقْتَرِبُ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ حَتَّى بَرَزَتْ مِنْ بَيْنِ أَغْصَانِهَا فَتَاةٌ جَمِيلَةٌ ، وَمَدَّتْ إِلَيْهِ يَدَيْهَا بِلَهْفَةٍ وَهِيَ تَقُولُ :

ــ أَجِئْتَ يَا فَوْزَانُ ؟! لَقَدْ مَكَثْتُ وَقْتًا طَوِيلًا أَنْتَظِرُكَ هُنَا ، حَتَّى أَوْشَكْتُ أَنْ أَيْأَسَ مِنْ قُدُومِكَ . . تَعَالَ !! تَعَالَى يَا زَوْجِي الْحَبِيبَ !!

وَلَكِنَّهُ قَبْلَ أَنْ يُجِيبَهَا بِكَلِمَةٍ صَحَا مِنْ نَوْمِهِ وَانْقَطَعَ حُلْمُهُ الْجَمِيلُ !!

لَمْ يُخْبِرِ الْأَمِيرُ أَحَدًا بِمَا رَأَى فِي حُلْمِهِ . .

وَمُنْذُ هَذِهِ اللَّيْلَةِ كَانَ يَقْضِي أَكْثَرَ وَقْتِهِ نَائِمًا لَعَلَّهُ يَرَى الْأَمِيرَةَ الْجَمِيلَةَ مَرَّةً أُخْرَى.

وَكَانَ عِنْدَمَا يَسْتَيْقِظُ مِنْ نَوْمِهِ، يَجْلِسُ فِي عُزْلَةٍ وَوَحْدَةٍ، وَيُغْمِضُ عَيْنَيْهِ وَيُرْسِلُ خَيَالَهُ وَرَاءَ الْأَمِيرَةِ الْجَمِيلَةِ !!

❧ ❧ ❧

لَاحَظَ الْمَلِكُ ذَلِكَ، وَلَاحَظَتْهُ الْمَلِكَةُ، وَأَدْرَكَ كُلُّ مَنْ فِي الْقَصْرِ أَنَّ طَارِئًا جَدِيدًا طَرَأَ عَلَى حَيَاةِ الْأَمِيرِ، فَغَيَّرَهَا كُلَّ التَّغْيِيرِ !!

وَخَشِيَ الْمَلِكُ وَالْمَلِكَةُ أَنْ يَكُونَ ابْنُهُمَا قَدْ



برزت من بين أغصانها فتاة جميلة .. ص ١١

أُصِيبَ بِمَكْرُوهٍ فِي عَقْلِهِ أَوْ جِسْمِهِ ، فَجَزِعَا أَشَدَّ الْجَزَعِ ، وَلَمْ يُبْقِيَا طَبِيباً أَوْ عَرَّافاً أَوْ سَاحِراً لَمْ يَسْتَدْعِيَاهُ لِعِلَاجِهِ .. وَلَكِنَّ طِبَّ الْأَطِبَّاءِ وَقَفَ عَاجِزاً أَمَامَ دَاءِ الْأَمِيرِ ، كَمَا عَجَزَتْ عِرَافَةُ الْعَرَّافِينَ وَسِحْرُ السَّحَرَةِ .. عَجَزُوا جَمِيعاً ، لِأَنَّ الْأَمِيرَ لَمْ يَكُنْ مَرِيضاً وَلَا مَسْحُوراً ، وَإِنَّمَا كَانَ مَشْغُولَ الْبَالِ بِالْقَصْرِ وَسَاكِنَتِهِ !!

وَأَخِيراً أَشَارَتِ الْحَاشِيَةُ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يُزَوِّجَهُ ، لَعَلَّ الزَّوَاجَ يُسْعِدُهُ وَيُعِيدُهُ إِلَى

حَيَاتِهِ الْأُولَى !!

نَفَّذَ الْمَلِكُ هَذِهِ الْمَشُورَةَ ، وَأَخَذَ يُقِيمُ فِي قَصْرِهِ حَفْلاً كَبِيراً كُلَّ لَيْلَةٍ ، يَجْمَعُ فِيهِ الْمُغَنِّينَ وَالْمُغَنِّيَاتِ ، وَالرَّاقِصِينَ وَالرَّاقِصَاتِ ، وَأَصْحَابَ كُلِّ فَنٍّ مِنَ الْفُنُونِ ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ الْأَمِيرَاتِ وَالْأُمَرَاءَ ، وَرِجَالَ الْحَاشِيَةِ ، وَأَعْيَانَ الدَّوْلَةِ ، وَيَدُسُّ عَلَى الْأَمِيرِ مَنْ يُنَبِّهُهُ إِلَى الْفَتَاةِ ، الَّتِي وَقَعَ اخْتِيَارُ الْمَلِكِ عَلَيْهَا لِتَكُونَ عَرُوساً لَهُ !!

وَلَكِنَّ الْأَمِيرَ كَانَ يُقَابِلُ كُلَّ فَتَاةٍ مِنَ الْفَتَيَاتِ

بِفُنُورٍ وَإِعْرَاضٍ .. فَلَا يَجْلِسُ إِلَيْهَا ، وَلَا يَسْمَعُ مِنْهَا !!

وَتَعَدَّدَتِ الْحَفَلَاتُ وَكَثُرَتْ ، حَتَّى حَضَرَتْهَا كُلُّ فَتَاةٍ فِي الْمَمْلَكَةِ ، فَلَمْ يَجِدِ الْمَلِكُ بُدًّا مِنْ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى حَفَلَاتِهِ أُمَرَاءَ الدُّوَلِ الْمُجَاوِرَةِ وَأَمِيرَاتِهَا . وَمَكَثَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ سَنَةً كَامِلَةً ، وَالْأَمِيرُ شَارِدُ الذِّهْنِ ، مَشْغُولُ الْبَالِ ، كَمَا كَانَ شَأْنُهُ مُنْذُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي رَأَى فِيهَا حُلْمَهُ الْعَجِيبَ !!

ضَاقَ الْمَلِكُ بِوَلِيِّ عَهْدِهِ فِي نِهَايَةِ الْعَامِ ،

وَدَعَاهُ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ :

ـ كَيْفَ لَمْ تَجِدْ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْأَمِيرَاتِ الْجَمِيلَاتِ مَنْ تُسْعِدُكَ وَتَصْلُحُ زَوْجَةً لَكَ؟! لَقَدْ فَضَحْتَنِي مَعَ أَهْلِ مَمْلَكَتِي ، وَأَحْرَجْتَنِي مَعَ جِيرَانِي وَأَصْدِقَائِي مِنَ الْمَمَالِكِ الْأُخْرَى !! إِمَّا أَنْ تَخْتَارَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ ، وَإِمَّا أَنْ تَرْحَلَ عَنْ بِلَادِي ، وَأَنْتَ حُرٌّ فِيمَنْ تَخْتَارُ مَادُمْتَ بَعِيداً عَنِّي !!

* * *

كَانَ الْأَمِيرُ فَوْزَانُ يُحِسُّ إِحْسَاساً صَادِقاً

أَنَّهُ لَابُدَّ أَنْ يَجْتَمِعَ ذَاتَ يَوْمٍ بِالْأَمِيرَةِ فِي قَصْرِهَا ، وَكَانَ شُجَاعًا وَجَرِيئًا ، وَلِهَذَا مَا كَادَ يَسْمَعُ تَهْدِيدَ أَبِيهِ الْمَلِكِ ، حَتَّى أَجَابَهُ بِأَدَبٍ:

ـــ أَرْجُو يَا جَلَالَةَ الْمَلِكِ أَنْ تُعْطِيَنِي مُهْلَةً قَصِيرَةً . . عَامًا وَاحِدًا أَتْرُكُ فِيهِ الْقَصْرَ وَالْمَدِينَةَ ، وَأَطُوفُ فِي أَنْحَاءِ الْبِلَادِ ، لَعَلِّي أَعْثُرُ عَلَى الزَّوْجَةِ الَّتِي أَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا ، وَأَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ إِلَى جِوَارِهَا . . أَمَّا هَؤُلَاءِ الْأَمِيرَاتُ اللَّاتِي تَرَدَّدْنَ عَلَى الْقَصْرِ فِي الْحَفَلَاتِ ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُنَّ قَدْ تَظَاهَرْنَ بِمَا لَيْسَ فِيهِنَّ مِنْ

أَخْلَاقٍ كَرِيمَةٍ ، وَطِبَاعٍ مُهَذَّبَةٍ ! !

أُعْجِبَ الْمَلِكُ بِمَا سَمِعَ مِنَ الْأَمِيرِ ، وَقَالَ لَهُ :

ـــ هَذَا تَفْكِيرٌ سَلِيمٌ يَا فَوْزَانُ ، وَقَدِ اسْتَرَحْتُ الْآنَ لِحُسْنِ تَصَرُّفِكَ ، وَسَدَادِ رَأْيِكَ ، وَلَسْتُ أَدْرِى لِمَاذَا غَابَ عَنِّى هَذَا الرَّأْىُ ؟!

وَأَمَرَ فِى الْحَالِ أَنْ يُجَهِّزَ الْأَمِيرُ بِمَا يُحِبُّ ، لِيَبْدَأَ رِحْلَتَهُ الطَّوِيلَةَ ! !

ـ ٣ ـ

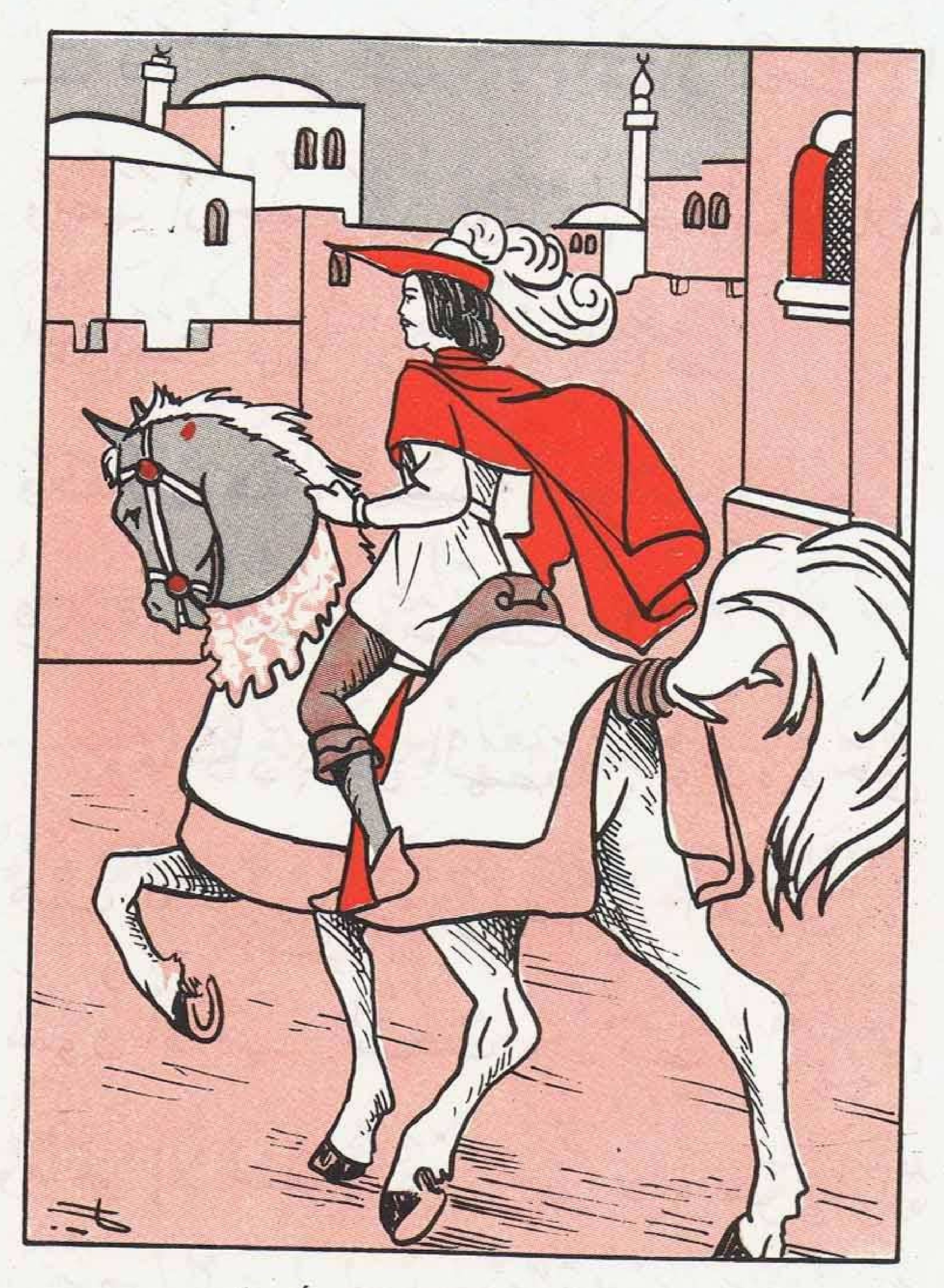
وَفِى الْيَوْمِ التَّالِى كَانَ الْأَمِيرُ فَوْزَانُ يَرْكَبُ جَوَادَهُ

الْعَرَبِيَّ الْأَصِيلَ ، وَيَتَنَقَّلُ فِي جَوَانِبِ أَسْبَانِيَا ، الَّتِي كَانَتْ تُسَمَّى فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ .

سَارَ الْأَمِيرُ فِي السُّهُولِ ، وَعَلَى ضِفَافِ الْأَنْهَارِ الْكَثِيرَةِ هُنَاكَ ، فَلَمْ يَجِدِ الْقَصْرَ الَّذِي رَآهُ فِي الْحُلْمِ . . وَصَعِدَ فِي الْجِبَالِ الَّتِي تَنْبَعُ مِنْهَا الْأَنْهَارُ ، فَلَمْ يَجِدِ الْقَصْرَ . . وَطَالَ بِهِ السَّيْرُ ثُمَّ طَالَ ، حَتَّى أَوْشَكَ الْعَامُ أَنْ يَنْتَهِيَ !!

وَأَخِيراً ، وَقَبْلَ أَنْ يَمْلَأَ الْيَأْسُ نَفْسَهُ ، رَأَى مِنْ بَعِيدٍ هَضْبَةً مُرْتَفِعَةً عَلَى الْحُدُودِ .

فَسَارَ إِلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ :



سار فى السهول وعلى ضفاف الأنهار .. ص ٢٠

ـــ لَقَدْ أَتْعَبَنِى السَّيْرُ ، وَأَضْنَانِى الْبَحْثُ !!

وَيَظْهَرُ أَنَّ حُلْمِى كَانَ نَوْعًا مِنْ أَضْغَاثِ الْأَحْلَامِ، الَّتِى يَعْبَثُ فِيهَا الشَّيْطَانُ بِالنَّائِمِينَ .

وَسَتَكُونُ هَذِهِ الْهَضْبَةُ آخِرَ مَكَانٍ أَبْحَثُ فِيهِ عَنِ الْقَصْرِ وَسَاكِنَتِهِ !!

وَمَا كَادَ يَعْتَلِى الْهَضْبَةَ بِجَوَادِهِ ، حَتَّى هَبَّتْ بَوَادِرُ رِيحٍ آتِيَةٍ مِنَ الْجَنُوبِ الْغَرْبِىِّ ، تَسُوقُ أَمَامَهَا السُّحُبَ وَالْأَمْطَارَ الْغَزِيرَةَ، وَمَا هِىَ إِلَّا غَمْضَةُ عَيْنٍ حَتَّى غَرِقَ هُوَ وَجَوَادُهُ فِى سَيْلٍ غَامِرٍ ، وَرَاحَ يَتَلَفَّتُ يَمِينًا وَشِمَالًا

لَعَلَّهُ يَجِدُ مَكَانًا يَخْتَفِى فِيهِ ، وَيُنْقِذُ نَفْسَهُ مِنَ الْهَلَاكِ وَالدَّمَارِ ! !

وَإِذَا بِهِ يَجِدُ أَمَامَهُ كَهْفًا كَبِيرًا مَنْحُوتًا فِى صَخْرَةٍ عَاتِيَةٍ ، فَدَفَعَ جَوَادَهُ إِلَيْهِ بِسُرْعَةٍ. وَمَا كَادَ يَدْخُلُهُ حَتَّى رَأَى فِيهِ فَتَاةً تُشْعِلُ نَارًا وَتُلْقِى فِيهَا بِمَقَادِيرَ هَائِلَةٍ مِنَ الْحَطَبِ. وَالنَّارُ تَعْلُو وَتَعْلُو ، وَتَئِزُّ وَتَئِزُّ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْفَتَاةُ نَادَتْهُ مِنْ بَعِيدٍ :

— أَقْبِلْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ الصَّغِيرُ ! ! تَعَالَ قَبْلَ أَنْ يَفْتُكَ الْبَرْدُ وَالصَّقِيعُ ! ! هَيَّا لِتُجَفِّفَ

ثِيابَكَ مِنَ الْمَطَرِ الْغَزِيرِ !!

و و و

وَلَوْ كانَتِ الْفَتاةُ جَمِيلَةً أَوْ مُنَعَّمَةً، لَأَقْنَعَ نَفْسَهُ بِأَنَّها الْفَتاةُ الَّتِي رَآها فِي الْحُلُمِ.. وَلٰكِنَّها كانَتْ مُشَعَّثَةَ الشَّعْرِ، مُهَلْهَلَةَ الْمَلابِسِ، مُمَزَّقَةَ الْجِلْدِ مِنَ الْبَرْدِ وَالْقَشَفِ !!

وَلَمْ يَكُنْ فَوْقَ النّارِ طَعامٌ وَلا شَرابٌ، وَلٰكِنَّ الْفَتاةَ كانَتْ تُلْقِي فِيها كُلَّ ما جَمَعَتْهُ فِي الْكَهْفِ مِنْ حَطَبٍ !! وَمَعَ ذٰلِكَ لَمْ تَكُنِ النّارُ شَدِيدَةً وَلا مُحْرِقَةً، لِأَنَّ أَلْسِنَةَ الرِّيحِ كانَتْ تَتَخَلَّلُها،

وَتَسْلُبُ كَثِيراً مِنْ قُوَّتِهَا وَحَرَارَتِهَا !!

عَجِبَ الْأَمِيرُ فَوْزَانُ مِمَّا يَرَى ، وَأَخَذَ يَسْتَدْرِجُ الْفَتَاةَ ، وَيَسْأَلُهَا عَمَّا فِي حَيَاتِهَا مِنْ سِرٍّ خَفِيٍّ ، فَقَالَتْ لَهُ :

— إِنَّنِي يَاسَيِّدِي الْأَمِيرَ ، خَادِمَةُ الرِّيحِ التِّجَارِيَّةِ الْعَكْسِيَّةِ ، الَّتِي تَهُبُّ شِتَاءً عَلَى سَطْحِ الْمُحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ ، مِنْ جَنُوبِهِ الْغَرْبِيِّ إِلَى شِمَالِهِ الشَّرْقِيِّ ؛ فَيُصِيبُهَا الْبَرْدُ الشَّدِيدُ وَتَبْتَلُّ ثِيَابُهَا ؛ وَلِهَذَا أُعِدُّ لَهَا هَذِهِ النَّارَ لِتَسْتَدْفِئَ بِهَا ، وَتُجَفِّفَ مَلَابِسَهَا ، قَبْلَ أَنْ تُصِيبَهَا الْحُمَّى مِنَ الْبَرْدِ !!

كَانَ الْأَمِيرُ فَوْزَانُ فِي ذَلِكَ الْحِينِ قَدِ اسْتَعَادَ الدِّفْءَ وَالِاطْمِئْنَانَ ، وَرَاحَ يُفَكِّرُ فِي الْقَصْرِ وَسَاكِنَتِهِ مِنْ جَدِيدٍ ، فَقَالَ لِلْفَتَاةِ :

— إِنَّكِ تُقَدِّمِينَ خِدْمَةً جَلِيلَةً لِهَذِهِ الرِّيحِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّهَا تَقُصُّ عَلَيْكِ كَثِيرًا مِنْ أَخْبَارِ رِحْلَاتِهَا ، وَتُحَدِّثُكِ عَنْ مَشَاهِدِهَا فِي الْبِلَادِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا ، فَهَلْ حَدَّثَتْكِ عَنْ قَصْرٍ عَجِيبٍ ، تَنْبُتُ فِي إِحْدَى حُجُرَاتِهِ شَجَرَةٌ نَادِرَةٌ ؟ !

هَزَّتِ الْفَتَاةُ رَأْسَهَا بِأَسَفٍ وَقَالَتْ :

— لَا ! ! لَقَدْ حَدَّثَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مِنْ

عَجَائِبِ الدُّنْيَا وَغَرَائِبِ الطَّبِيعَةِ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تُحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ عَنْ هَذَا الْقَصْرِ الْعَجِيبِ !!

فَلِمَاذَا يَاتُرَى أَخْفَتْ عَلَيَّ أَخْبَارَهُ ؟!

ثُمَّ ابْتَسَمَتْ ابْتِسَامَةً مُشَجِّعَةً وَقَالَتْ :

ــ يَظْهَرُ أَنَّ الْقَصْرَ يُهِمُّكَ كَثِيرًا يَاأَيُّهَا الْأَمِيرُ!!

سَتَأْتِي الرِّيحُ بَعْدَ لَحْظَةٍ ، فَانْتَظِرْ حَتَّى تَسْتَرِيحَ مِنْ رِحْلَتِهَا وَتَسْتَعِيدَ قُوَّتَهَا ، وَاسْأَلْهَا عَمَّا تَشَاءُ!!

وَابْتَسَمَتْ وَهِيَ تَقُولُ :

ــ إِنَّهَا لَابُدَّ أَنْ تُجِيبَكَ عَنْ كُلِّ سُؤَالٍ ، وَلَنْ تَبْخَلَ عَلَيْكَ بِشَيْءٍ أَبَدًا !! إِنَّهَا رِيحُ

طَيِّبَةٌ وَكَرِيمَةٌ ، لاتَبْخَلُ بِخَيْرٍ عَلَى أَحَدٍ .

إِنَّ سُكَّانَ جَنُوبِ أُورُوبَّا وَشِمَالِ إِفْرِيقِيَّةَ يَعِيشُونَ فِي خَيْرِهَا الدَّائِمِ ، بِمَا تَحْمِلُ لَهُمْ مِنْ أَمْطَارٍ غَزِيرَةٍ فِي كُلِّ شِتَاءٍ ، مَعَ أَنَّهَا تَلْقَى فِي ذَلِكَ عَنَاءً أَيَّ عَنَاءٍ ، وَلَكِنَّهَا تَفْرَحُ بِمَا تُقَدِّمُهُ لِلنَّاسِ وَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ مِنْ خَيْرٍ فِي هَذِهِ الْبِقَاعِ !!

وَزَادَتِ ابْتِسَامَتُهَا الْحُلْوَةُ وَهِيَ تَقُولُ :

ـ إِنَّهَا عَلَى أَيَّةِ حَالٍ خَيْرٌ مِنْ أُخْتِهَا الشَّمَالِيَّةِ الْبَارِدَةِ الَّتِي تُجَمِّدُ الْمِيَاهَ ، وَتَقْتُلُ الزَّرْعَ ،

وَتُهْلِكُ الْإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ . . وَكَذَلِكَ خَبَرُ مِنْ أُخْتِهَا الْجَنُوبِيَّةِ الْحَارَّةِ الَّتِى تَمْلَأُ الدُّنْيَا حَرًّا وَسَمُومًا وَتُرَابًا ، وَتَشْوِى الْوُجُوهَ ، وَتُعْمِى الْعُيُونَ ! !

وَقَبْلَ أَنْ تُنْهِىَ حَدِيثَهَا مَعَ الْأَمِيرِ كَانَتِ الرِّيحُ قَدِ اسْتَقَرَّتْ فِى الْكَهْفِ ، وَسَكَنَتْ زَوَابِعُهَا الَّتِى فِى الْخَارِجِ ، وَأَوْشَكَتِ النَّارُ أَنْ تَكُونَ هَوَاءً لَطِيفًا ! !

وَصَمَتَ سَعِيدٌ لَحْظَةً قَصِيرَةً ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْحَدِيثِ وَكَأَنَّهُ تَذَكَّرَ شَيْئًا مَضَى ، فَقَالَ

وَهُوَ يَضْحَكُ ضَحْكَةً خَفِيفَةً :

ــ وَلَا أَنْسَى أَنَّ سَمِيرَةَ قَالَتْ لِجَدَّتِهَا ، حِينَمَا بَلَغَتْ هَذَا الْمَوْقِفَ مِنَ الْقِصَّةِ : لَوْ كُنْتُ فِي مَوْضِعِ هَذِهِ الْفَتَاةِ لَطَلَبْتُ أَجْرًا مِنَ الرِّيحِ عَلَى مَا أُقَدِّمُهُ إِلَيْهَا مِنْ خِدْمَةٍ نَافِعَةٍ ! !

فَسَأَلَتْهَا الْجَدَّةُ :

ــ وَمَاذَا كُنْتِ تَطْلُبِينَ مِنْ أَجْرٍ ؟ !

فَأَجَابَتْ سَمِيرَةُ :

ــ كُنْتُ أَطْلُبُ مِنْهَا أَنْ تَحْمِلَنِي عَلَى بِسَاطٍ سِحْرِيٍّ ، وَتَأْخُذَنِي مَعَهَا فِي رِحْلَاتِهَا الدَّائِمَةِ ،

لِأَرَى بِعَيْنِي مَاتَرَاهُ هِيَ، وَلَا أَكْتَفِي مِنْهَا بِالْأَخْبَارِ وَالْقِصَصِ ، فَإِنَّ مَاتَرَاهُ الْعَيْنُ أَكْثَرُ مُتْعَةً وَبَقَاءً فِي الذِّهْنِ ، مِمَّا تَسْمَعُهُ الْأُذُنُ!!

فَقَالَتْ جَدَّتِي :

ــ صَدَقْتِ يَاسَمِيرَةُ !! إِنَّ الرِّحْلَاتِ تُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ أَشْيَاءَ وَأَشْيَاءَ ، لَايَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا حَتَّى مِنَ الْكُتُبِ وَالدُّرُوسِ !! وَلَكِنَّكِ نَسِيتِ شَيْئًا مُهِمًّا جِدًّا يَاسَمِيرَةُ .. نَسِيتِ أَنَّ هَذِهِ الرِّيحَ تُقَدِّمُ خَدَمَاتٍ جَلِيلَةً لِلنَّاسِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَمِنْ أَجْلِ هَذَا حَبَسَتْ هَذِهِ الْفَتَاةُ

الطَّيِّبَةُ نَفْسَهَا فِي الْكَهْفِ ، لِتَوَدَّ لِلرِّيحِ جَمِيلَهَا ، نِيَابَةً عَنِ النَّاسِ جَمِيعاً ! !

وَهُنَا ضَحِكَ حُسَيْنٌ وَقَالَ :

ـــ لَقَدْ كَانَتْ جَدَّتُكَ يَاسَعِيدُ مُعَلِّمَةً حَكِيمَةً!!

فَقَالَ سَعِيدٌ :

ـــ رَحِمَهَا اللَّهُ ، إِنَّنِي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْسَى أَثَرَهَا الْحَمِيدَ فِي حَيَاتِي ! !

وَأَرَادَ أَنْ يَسْتَمِرَّ وَيَسْتَرْسِلَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ جَدَّتِهِ وَعَنْ ذِكْرَيَاتِهِ مَعَهَا ، وَلَكِنَّ حُسَيْناً قَالَ لَهُ وَهُوَ يَبْتَسِمُ :

ـــ أُتْرُكِ الْحَدِيثَ عَنْ جَدَّتِكَ لِفُرْصَةٍ أُخْرَى ، وَحَدِّثْنَا عَمَّا جَرَى بَيْنَ الرِّيحِ وَالْأَمِيرِ فَوْزَانَ ، فَمَا يَحْسُنُ بِنَا أَنْ نَتْرُكَهُ فِي الْكَهْفِ ، وَنَأْخُذَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ ، وَلَوْ كَانَ حَدِيثاً عَنْ جَدَّتِكَ يَرْحَمُهَا اللهُ ! !

ضَحِكَ سَعِيدٌ وَقَالَ :

ـــ يَالَكَ مِنْ شَيْطَانٍ خَبِيثٍ !! أَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتْرُكَ السُّخْرِيَةَ ؟ !

وَرَجَعَ إِلَى الْقِصَّةِ قَائِلاً :

— ٤ —

وَما كادَتِ الرِّيحُ تَهْدأُ أَنفاسُها وَيَسْكُنُ خفقانُ قَلْبِها ، حَتَّى قالَتْ :

— إِنِّى أَشَمُّ رائِحَةَ إِنْسانٍ غَريبٍ .. فَهَلْ مَعَكِ أَحَدٌ هُنا يابِنْتِى ؟ !

فَأَجابَتِ الْفَتاةُ وَهِىَ تُشيرُ إِلَى الْأَميرِ أَنْ يَطْمَئِنَّ :

— نَعَمْ ياسَيِّدَتِى . مَعِى أَميرٌ صَغيرٌ !!

فَزَمْجَرَتِ الرِّيحُ وَزَأَرَتْ بِغَيْظٍ وَقالَتْ :

— وَيْلٌ لِلنَّاسِ ! ! إِنَّهُمْ لايَتْرُكونَ الطَّمَعَ ،

وَلا يَقْنَعُونَ بِشَىْءٍ أَبَداً . أَحْمِلُ السُّحُبَ عَلَى كَتِفَىَّ ، وَأَسُوقُهَا أَمَامِى وَأَنَا أُصَفِّرُ وَأَلْهَثُ مِنَ التَّعَبِ ، وَأَدْفَعُهَا إِلَى الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ ، لِتَسْقُطَ أَمْطَارُهَا وَتَمْلأَ الأَنْهَارَ ، وَتُرْوِىَ الأَرْضَ ، وَتُنْبِتَ زَرْعَهَا وَشَجَرَهَا . أَفْعَلُ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِهِمْ وَأَجْلِ أَنْعَامِهِمْ وَحَيَوَانِهِمْ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَسْتَكْثِرُونَ عَلَىَّ بَيْتاً صَغِيراً صَنَعْتُهُ لِنَفْسِى ، وَيَأْتُونَ لِيُشَارِكُونِى فِيهِ !!

وَتَنَفَّسَتْ نَفَساً يُشْبِهُ صَفِيرَ النَّاىِ ،

وَقَالَتْ بِغَيْظٍ وَيَأْسٍ :

ـــ لَيْتَنِي كُنْتُ إِعْصَاراً مُدَمِّراً لِأُهْلِكَهُمْ ، وَلَمْ أَكُنْ رِيحاً لَيِّنَةً تَحْمِلُ لَهُمُ الْخَيْرَ أَيْنَمَا كَانُوا !!

فَاقْتَرَبَتِ الْفَتَاةُ مِنْهَا وَأَخَذَتْ تُجَفِّفُ ذُيُولَهَا الْمُبْتَلَّةَ ، وَتُمَشِّطُ شَعْرَهَا بِمَهَارَةٍ ، وَتَقُولُ لَهَا بِرِقَّةٍ :

ـــ لَا تَنْدَمِي يَاسَيِّدَتِي الرِّيحَ ، عَلَى مَا تُقَدِّمِينَ مِنْ خَدَمَاتٍ لِلنَّاسِ ! ! إِنَّ النَّاسَ طَيِّبُونَ ، وَلَا يَنْسَوْنَ فَضْلاً يَصْنَعُهُ أَحَدٌ مَعَهُمْ ! ! وَلَا تَظُنِّي أَنَّهُمْ يَطْمَعُونَ فِي بَيْتِكِ الْجَمِيلِ .. وَلَوْ طَلَبْتِ

مِنْهُمْ أَنْ يُقِيمُوا لَكِ قَلْعَةً حَصِينَةً ، مَا تَأَخَّرُوا وَلَا تَرَدَّدُوا .

فَهَدَأَتِ الرِّيحُ قَلِيلاً ، وَسَأَلَتِ الْفَتَاةَ :

ــ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ هَذَا الْأَمِيرُ طَامِعاً فِي بَيْتِي فَلِمَاذَا أَتَى إِلَيْهِ ، وَلِمَاذَا دَخَلَهُ بِدُونِ إِذْنٍ مِنِّي؟؟

فَقَالَتِ الْفَتَاةُ :

ــ خِفْتُ أَنْ تَنْدَمِي وَتَأْسَفِي كَثِيراً ، حِينَمَا تُدْرِكِينَ أَنَّ أَمْطَارَكِ أَغْرَقَتْهُ وَأَغْرَقَتْ جَوَادَهُ ، وَلِهَذَا دَعَوْتُهُ إِلَى الدُّخُولِ لِيَنْجُوَ مِنْ هَلَاكٍ مُحَقَّقٍ ! ! لَقَدْ كَانَ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ يَشْغَلُ بَالَهُ ،

فَضَلَّ الطَّرِيقَ ، وَوَصَلَ إِلَى كَهْفِكِ يَاسَيِّدَتِي . . وَصَلَ إِلَيْهِ لِيَحْتَمِيَ فِيهِ ، فَهَلْ يُغْضِبُكِ أَنْ يَحْتَمِيَ بِكِ ضَعِيفٌ ؟!

أَحَسَّتِ الرِّيحُ بِشَفَقَةٍ زَائِدَةٍ عَلَى الْأَمِيرِ الصَّغِيرِ ، وَزَالَتْ مِنْ قَلْبِهَا الضَّغِينَةُ وَالْكَرَاهِيَةُ ، وَسَأَلَتْهُ قَائِلَةً :

ـــ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْحَثُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟! لَقَدِ اسْتَطَاعَتْ هَذِهِ الْبِنْتُ الطَّيِّبَةُ أَنْ تَعْطِفَ قَلْبِي عَلَيْكَ ! !

وَهُنَا اطْمَأَنَّ الْأَمِيرُ فَوْزَانُ ، وَأَخَذَ يَقُصُّ

عَلَى الْفَتَاةِ وَالرِّيحِ قِصَّةَ حُلُمِهِ الْعَجِيبِ ، وَلَمَّا خَتَمَهَا قَالَ :

ــ وَالآنَ إِمَّا أَنْ أَعْثُرَ عَلَى الْقَصْرِ وَسَاكِنَتِهِ ، وَإِمَّا أَنْ أَقْضِيَ حَيَاتِي كُلَّهَا هَائِمًا عَلَى وَجْهِي فَوْقَ الأَرْضِ ! !

فَقَالَتِ الرِّيحُ :

ــ طِبْ نَفْسًا أَيُّهَا الأَمِيرُ ! ! فَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْقَصْرِ إِلَّا مَسِيرَةُ يَوْمٍ وَاحِدٍ . . إِنَّهُ هُنَاكَ فِي بِلَادِ الْبُرْتُغَالِ، وَرَاءَ جَبَلِ السَّحَابِ الأَحْمَرِ ، أَمَّا الشَّجَرَةُ الَّتِي رَأَيْتَهَا فَإِنَّهَا تَخْتَفِي

بَيْنَ أَشْجَارٍ كَثِيرَةٍ مِنْ نَوْعِهَا ، وَتُسَمَّى شَجَرَةَ الْبُرْتُقَالِ .

لَمْ يَسْمَعِ الأَمِيرُ فَوْزَانُ حَرْفَ الْغَيْنِ، فَقَالَ مُسْتَفْهِمًا :

ـ شَجَرَةَ الْبُرْتَقَالِ ؟!

فَأَسْرَعَتِ الرِّيحُ قَائِلَةً :

ـ نَعَمْ شَجَرَةُ الْبُرْتُغَالِ . إِنَّهُ اسْمٌ جَمِيلٌ!!

مَنْ يَدْرِي ؟! رُبَّمَا تَتَخَلَّى هَذِهِ الشَّجَرَةُ عَنْ عِنَادِهَا ، وَتَتْرُكُ قَصْرَهَا ، وَتَنْتَشِرُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِقَاعِ ، فَلِمَاذَا لَا يَكُونُ لَهَا اسْمٌ مُسْتَقِلٌّ ،

بَدَلَ الْبُرْتُغَالِ، الَّذِى هُوَ اسْمُ الدَّوْلَةِ الَّتِى نَبَتَتْ فِيهَا ؟!

وَمَسَحَتْ وَجْهَ الْأَمِيرِ بِطَرَفِ رِدَائِهَا، فَشَعَرَ بِانْتِعَاشٍ وَنَشَاطٍ، وَقَالَتْ لَهُ :

ـــ وَلَكِنَّ عُثُورَكَ عَلَى الشَّجَرَةِ الْمَطْلُوبَةِ يَحْتَاجُ مِنْكَ إِلَى مَهَارَةٍ كَبِيرَةٍ !!

وَلَا نَنْسَ أَنَّهَا شَجَرَةٌ عَنِيدَةٌ جِدًّا، تَأْبَى أَنْ تُغَادِرَ مَكَانَهَا مِنَ الْقَصْرِ، وَقَدِ احْتَلْتُ عَلَيْهَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وَدَعَوْتُهَا أَنْ تَرْكَبَ ظَهْرِى، أَوْ تُعْطِيَنِى فَرْعًا مِنْ فُرُوعِهَا أَوْ بَذْرَةً

مِنْ بُذُورِهَا ، لِأَحْمِلَهَا إِلَى بُسْتَانِ مَلِكٍ أَوْ أَمِيرٍ ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَرْفُضُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ، وَتُصِرُّ عَلَى بَقَائِهَا هُنَاكَ !!

فَقَالَ فَوْزَانُ بِقَلَقٍ وَدَهْشَةٍ :

ـ وَلَكِنْ لِمَاذَا يَاسَيِّدَتِي الرِّيحَ تُفَكِّرِينَ فِي إِزْعَاجِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَإِخْرَاجِهَا مِنْ قَصْرِهَا الْمُفَضَّلِ ؟! إِنَّ الْمَوْطِنَ غَالٍ جِدًّا عَلَى سَاكِنِيهِ ، وَأَظُنُّهَا عَلَى حَقٍّ فِي رَغْبَتِهَا فِي الْبَقَاءِ هُنَاكَ !!

فَقَالَتِ الرِّيحُ :

ـــ لَا . . أَنْتَ لَا تَعْرِفُ شَيْئًا كَثِيرًا عَنْ رَغْبَةِ النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ ! ! إِنَّ النَّبَاتَاتِ وَالْأَشْجَارَ يَا أَمِيرِي الصَّغِيرَ ، تَرْغَبُ أَشَدَّ رَغْبَةٍ فِي الِانْتِقَالِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، وَتَحْتَالُ بِحِيَلٍ عَجِيبَةٍ لِتُحَقِّقَ رَغْبَتَهَا فِي ذَلِكَ . . فَتَارَةً تُغَطِّي بُذُورَهَا بِشَعَرٍ وَوَبَرٍ ، وَتَارَةً تَصْنَعُ لِبُذُورِهَا أَجْنِحَةً وَزَوَائِدَ بَارِزَةً ، وَتَارَةً تَجْعَلُ بُذُورَهَا صَغِيرَةً وَدَقِيقَةً . . وَهِيَ تَفْعَلُ كُلَّ ذَلِكَ ، لِيَسْهُلَ عَلَى أَضْعَفِ الرِّيَاحِ حَمْلُهَا وَنَقْلُهَا .

وَضَحِكَتِ الرِّيحُ ضِحْكَةً خَفِيفَةً جِدًّا ؛ فَاهْتَزَّتْ جَوَانِبُ الْكَهْفِ ، وَارْتَعَشَ الأَمِيرُ وَالْفَتَاةُ مِنَ الْحَرَكَةِ الَّتِى أَحْدَثَتْهَا ضِحْكَتُهَا ، ثُمَّ قَالَتْ :

— وَفِى أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ تَشْعُرُ النَّبَاتَاتُ وَالأَشْجَارُ بِأَنَّ الرِّيَاحَ لاتَقْوَى عَلَى حَمْلِهَا ؛ وَتَزْدَادُ رَغْبَتُهَا فِى التَّنَقُّلِ وَالارْتِحَالِ ، فَتُخَاطِرُ بِحَيَاتِهَا أَشَدَّ الْمُخَاطَرَةِ ، وَتُلْقِى بِبُذُورِهَا وَأَغْصَانِهَا فِى الْبِحَارِ وَالأَنْهَارِ ، لِتَحْمِلَهَا التَّيَّارَاتُ الْمَائِيَّةُ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ ! !



وتحتال بحيل عجيبة لتحقق رغبتها . . ص ٤٣

تَعَجَّبَ الْأَمِيرُ فَوْزَانُ مِنْ كَلَامِ الرِّيحِ وَقَالَ :

ــ مَا كُنْتُ أَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ هٰذَا ، وَلَوْ سَمِعْتُهُ مِنْ غَيْرِكِ مَا صَدَّقْتُهُ !!

فَقَالَتِ الرِّيحُ :

ــ وَبِسَبَبِ هٰذِهِ الْحِيَلِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي يَحْتَالُ النَّبَاتُ بِهَا ، لِيَنْتَقِلَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ ، انْتَشَرَتِ النَّبَاتَاتُ فِي جَوَانِبِ الْأَرْضِ ، وَرَأَى النَّاسُ بِأَعْيُنِهِمْ نَبَاتَاتِ الْجَنُوبِ تَنْمُو فِي الشِّمَالِ ، وَنَبَاتَاتِ الشَّرْقِ تَنْمُو فِي الْغَرْبِ . . رَأَوْا ذٰلِكَ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفُوا كَيْفَ يَنْقُلُونَ النَّبَاتَ

مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ ! !

وَمَا كَادَتْ تَصِلُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ مِنَ الْكَلامِ حَتَّى قَالَتْ :

ــــ إِلَّا هَذِهِ الشَّجَرَةَ يَا فَوْزَانُ ، الَّتِي سَمَّيْتَهَا أَنْتَ شَجَرَةَ الْبُرْتُقَالِ ؛ فَإِنَّهَا ظَلَّتْ مُعْتَزِلَةً فِي قَصْرِهَا الْمَرْمَرِيِّ . وَلَعَلَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحَرِّكَهَا مِنْ مَوْضِعِهَا ، وَتُخْرِجَهَا مِنْ عُزْلَتِهَا ؛ فَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ الَّذِينَ ذَاقُوا ثِمَارَهَا ، أَنَّهَا مِنْ خَيْرِ الْفَوَاكِهِ لِلْإِنْسَانِ .

تَحَمَّسَ فَوْزَانُ وَقَالَ لِلرِّيحِ :

ـ لَقَدْ كُنْتُ أَبْحَثُ عَنْ عَرُوسٍ ، أَمَّا الْآنَ فَقَدْ أَغْرَيْتِنِى بِعَمَلِ شَىْءٍ آخَرَ . أَغْرَيْتِنِى بِإِخْرَاجِ الْبُرْتُقَالَةِ مِنْ مَوْضِعِهَا ! ! وَأَعْتَقِدُ أَنَّ فَرْحَةَ وَالِدِى بِهَا سَتَكُونُ أَشَدَّ مِنْ فَرْحَتِهِ بِعَرُوسِى الَّتِى سَأَعْثُرُ عَلَيْهَا ! !

وَوَقَفَ الْأَمِيرُ فَوْزَانُ وَهُوَ يَقُولُ لِلرِّيحِ :

ـ شُكْرًا لَكِ أَيَّتُهَا الرِّيحُ النَّافِعَةُ الطَّيِّبَةُ !! وَسَأَخْرُجُ فِى النَّوِّ وَاللَّحْظَةِ إِلَى جَبَلِ السَّحَابِ الْأَحْمَرِ ! !

وَهَمَّ بِالْخُرُوجِ بَعْدَ أَنْ شَدَّ عَلَى يَدِ

الْفَتَاةِ وَكَرَّرَ الشُّكْرَ لَهَا ، وَلَكِنَّهُ سَمِعَ الرِّيحَ تَسْتَوْقِفُهُ قَائِلَةً :

— عَلَى مَهْلِكَ يَافَوْزَانُ !! سَأُخْبِرُكَ بِالْعَلَامَاتِ الَّتِى تُمَيِّزُ الشَّجَرَةَ الْمَطْلُوبَةَ ، وَتَهْدِيكَ إِلَيْهَا دُونَ تَعَبٍ كَثِيرٍ .. إِنَّهَا شَجَرَةٌ مُتَوَسِّطَةُ الِارْتِفَاعِ ، تَحْمِلُ ثَمَرَةً كَبِيرَةً ، كَأَنَّهَا كُرَةٌ مِنَ الذَّهَبِ ، وَسَتَجِدُ حَوْلَهَا أَخَوَاتٍ لَهَا ، تَحْمِلُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مِئَاتٍ كَثِيرَةً مِنَ الثِّمَارِ .. فَاتَّجِهْ رَأْساً إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَاضْرِبْ عُنُقَ

الثَّمَرَةِ ضَرْبَةً وَاحِدَةً بِسَيْفِكَ ، ثُمَّ تَلَقَّهَا
بَيْنَ يَدَيْكَ بِرِفْقٍ وَعِنَايَةٍ . . وَاحْذَرْ أَنْ
تَقْطِفَ غَيْرَهَا مِنَ الثِّمَارِ ، حَتَّى لَا تُثِيرَ
غَيْرَتَهَا !!

— ٥ —

انْحَنَى فَوْزَانُ لِلرِّيحِ ، وَبَالَغَ فِي شُكْرِهَا
وَتَعْظِيمِهَا ، وَخَرَجَ مِنَ الْكَهْفِ مُسْرِعًا ،
وَامْتَطَى صَهْوَةَ جَوَادِهِ الْأَصِيلِ ، وَسَارَ
إِلَى جَبَلِ السَّحَابِ الْأَحْمَرِ فِي بِلَادِ الْبُرْتُغَالِ .
لَمْ يَصْعُبْ عَلَيْهِ الِاهْتِدَاءُ إِلَى الْقَصْرِ ،

حِينَمَا وَصَلَ إِلَى جَبَلِ السَّحَابِ الْأَحْمَرِ ، فَمَا كَادَ يَصْعَدُ فَوْقَهُ وَيَعْبُرُهُ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ ، حَتَّى رَأَى فِي الْوَادِي الْفَسِيحِ الَّذِي يُشْرِفُ عَلَيْهِ الْجَبَلُ — رَأَى الْقَصْرَ يَقُومُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ ، وَالْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ حَوْلِهِ ، وَالطُّيُورُ تُغَرِّدُ فَوْقَ الْأَغْصَانِ.. وَكَانَ صُورَةً مُطَابِقَةً لِمَا رَآهُ فِي الْحُلْمِ مِنْ قَبْلُ.

فَقَوِيَ عَزْمُهُ ، وَاشْتَدَّتْ رَغْبَتُهُ وَدَفَعَ جَوَادَهُ إِلَى أَسْفَلِ الْجَبَلِ ، وَلَمْ يَقِفْ إِلَّا أَمَامَ بَابِ الْقَصْرِ . وَهُنَاكَ تَلَفَّتَ يَمِينًا

وَشِمَالًا ، لَعَلَّهُ يَجِدُ أَحَدًا يَسْتَفْهِمُ مِنْهُ عَنْ سُكَّانِ الْقَصْرِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ ، فَطَرَقَ الْبَابَ طَرْقًا خَفِيفًا ، فَإِذَا بِهِ يُفْتَحُ عَلَى مِصْرَاعَيْهِ ، وَيَسْمَعُ أَصْوَاتًا كَثِيرَةً تَقُولُ :

ــ أَهْلًا بِالْأَمِيرِ فَوْزَانَ !! أَهْلًا بِزَوْجِ أَمِيرَتِنَا الْعَزِيزَةِ !!

لَمْ يَشُكَّ فِي أَنَّ هَذِهِ الْأَصْوَاتَ مُنْبَعِثَةٌ مِنَ الثِّمَارِ الَّتِي تَعْلُو الْأَشْجَارَ ، وَلَكِنَّ قَلْبَهُ ارْتَجَفَ وَاضْطَرَبَ ، وَخُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ فِي عَالَمٍ مَسْحُورٍ ، كُلُّهُ أَخْطَارٌ وَأَلْغَازٌ . . فَتَوَقَّفَ قَلِيلًا لِيَسْتَعِيدَ

شَجَاعَتَهُ وَقُوَّتَهُ ، وَلَكِنَّ ضِحْكَةً نَاعِمَةً سَاخِرَةً
انْطَلَقَتْ فِي جَنَبَاتِ الْقَصْرِ وَالْحَدِيقَةِ ، وَأَعْقَبَهَا
صَوْتٌ عَذْبٌ يَقُولُ :

— يَالَهُ مِنْ أَمِيرٍ صَغِيرٍ !! لَقَدْ كَانَ شُجَاعًا
وَجَرِيئًا حِينَمَا كَانَ بَعِيدًا عَنْ عَرُوسِهِ ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ
مِنْهَا وَأَصْبَحَ مَعَهَا وَجْهًا لِوَجْهٍ ، أَصَابَهُ الْخَوْفُ
وَالِاضْطِرَابُ وَالْخَجَلُ !!

تَدَفَّقَ الدَّمُ فِي جَمِيعِ أَعْضَائِهِ ، وَبَلَغَتْ
حَمَاسَتُهُ قِمَّتَهَا ، فَقَالَ :

— كَلَّا !! لَا تَقُولِي هَذَا يَا عَزِيزَتِي ، وَلَا تَسْخَرِي

مِنِّى ، فَإِنِّى لَسْتُ خَائِفاً وَلاَ جَبَاناً !!

وَتَرَجَّلَ عَنْ جَوَادِهِ ، وَتَرَكَهُ فِى ظِلِّ شَجَرَةٍ ، وَحَمَلَ سَيْفَهُ وَسَارَ بَيْنَ الأَشْجَارِ .. وَلَمْ يَكُنْ وُصُولُهُ إِلَى الشَّجَرَةِ الْمَطْلُوبَةِ شَاقًّا وَلاَ عَسِيراً كَمَا أَخْبَرَتْهُ الرِّيحُ مِنْ قَبْلُ ، لِأَنَّ كُلَّ شَجَرَةٍ كَانَ يَمُرُّ بِهَا ، كَانَتْ تُشِيرُ بِأَحَدِ أَغْصَانِهَا إِلَى الطَّرِيقِ وَتَقُولُ لَهُ :

— إِنَّهَا هُنَاكَ ! تَقَدَّمْ أَيُّهَا الأَمِيرُ !!

وَصَلَ الأَمِيرُ فَوْزَانُ بَعْدَ قَلِيلٍ إِلَى الْبُرْتُقَالَةِ الَّتِى كَانَ يَبْحَثُ عَنْهَا ، فَوَجَدَهَا كَمَا رَآهَا فِى

الْحُلْمِ تَمَامًا، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ فِى حُجْرَةٍ فَسِيحَةٍ، وَإِنَّمَا كَانَتْ وَسْطَ الْحَدِيقَةِ . . لَقَدْ خَفَقَ قَلْبُهُ مَرَّةً أُخْرَى، فَوَقَفَ يَتَذَكَّرُ وَصِيَّةَ الرِّيحِ، خَشْيَةَ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا يُغْضِبُ الْأَمِيرَةَ، وَلَمَّا هَدَأَتْ نَفْسُهُ وَاطْمَأَنَّ، رَفَعَ سَيْفَهُ وَضَرَبَ عُنُقَ الْبُرْتُقَالَةِ ضَرْبَةً قَوِيَّةً، ثُمَّ فَتَحَ كَفَّيْهِ لِيَسْتَقْبِلَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ !!

فَعَلَ كُلَّ ذَلِكَ بِسُرْعَةٍ وَمَهَارَةٍ، وَمَا كَادَتِ الْبُرْتُقَالَةُ تَلْمِسُ كَفَّيْهِ، حَتَّى انْشَقَّتْ عَنْ أَمِيرَةٍ رَائِعَةٍ، لَيْسَ بَيْنَ الْبَشَرِ مَنْ يُشْبِهُهَا فِى جَمَالِهَا

وَكَمَالِهَا ، وَاسْتَوَتْ وَاقِفَةً أَمَامَهُ وَمَدَّتْ إِلَيْهِ يَدَهَا وَهِيَ تَقُولُ :

ــ أَهْلاً يَافَوْزَانُ !! طَالَتْ غَيْبَتُكَ عَلَىَّ ،حَتَّى كِدْتُ أَيْئَسُ مِنْ قُدُومِكَ !! فَلِمَاذَا تَأَخَّرْتَ أَيُّهَا الزَّوْجُ الْحَبِيبُ ؟!

وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ السَّعِيدَةِ ، تَحَوَّلَتِ الْحَدِيقَةُ كُلُّهَا إِلَى حَفْلٍ رَاقِصٍ احْتِفَالاً بِهَذَا اللِّقَاءِ الْمَوْعُودِ.. فَرَقَصَتِ الْأَشْجَارُ وَالْأَغْصَانُ ، وَغَنَّتِ الْبَلَابِلُ وَالطُّيُورُ ، وَعَزَفَتِ الْجَدَاوِلُ بِأَعْذَبِ أَلْحَانِهَا ، حَتَّى الْجَوَادُ كَانَ يَصْهَلُ وَيَرْقُصُ وَهُوَ وَاقِفٌ



أهلا يا فوزان !! طالت غيبتك .. ص ٥٦

فِي مَكَانِهِ !!

لَمْ يَتْرُكِ الْأَمِيرُ فَوْزَانُ ، الْأَمِيرَةَ تَسِيرُ بِجَانِبِهِ ، بَلْ حَمَلَهَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ وَسَارَ بِهَا وَسَطَ هَذَا الْحَفْلِ الرَّاقِصِ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى جَوَادِهِ ، فَوَضَعَهَا أَمَامَهُ عَلَى السَّرْجِ ، وَرَكِبَ الْجَوَادَ ، وَغَمَزَهُ بِمِغْمَازِهِ فَرَاحَ يَرْمَحُ وَيَجْرِي كَمَا كَانَ يَفْعَلُ فُرْسَانُ ذَلِكَ الزَّمَانِ بِعَرَائِسِهِمْ !!

***

احْتَفَلَ الْمَلِكُ وَالشَّعْبُ أَعْظَمَ احْتِفَالٍ بِعَوْدَةِ الْأَمِيرِ وَعَرُوسِهِ الْجَمِيلَةِ ، وَتَحَدَّثَ كُلُّ مَنْ رَآهَا عَنْ جَمَالِهَا وَأَخْلَاقِهَا الْكَرِيمَةِ ، وَنَفْسِهَا الطَّيِّبَةِ ، وَعَاشَ

الْأَمِيرُ مَعَهَا فِي أَسْعَدِ حَيَاةٍ ، وَأَهْنَأِ عَيْشٍ ، فِي قَصْرٍ خَاصٍّ ، مَلَأَتْهُ أَشْجَارُ الْبُرْتُقَالِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا وَأَصْنَافِهَا ! !

وَتَوَقَّفَ سَعِيدٌ قَلِيلاً ، وَتَنَفَّسَ نَفَساً طَوِيلاً عَمِيقاً ، وَقَالَ :

ـ وَخَتَمَتْ جَدَّتِي قِصَّتَهَا قَائِلَةً : وَمَنْ يَدْرِي ؟! فَقَدْ يَجِدُ سَعِيدٌ زَوْجَتَهُ فِي بُرْتُقَالَةٍ عِنْدَمَا يَكْبَرُ ، كَمَا وَجَدَ الْأَمِيرُ فَوْزَانُ عَرُوسَهُ ! !

* * *

فَضَحِكَ حُسَيْنٌ ضِحْكَةً لَطِيفَةً وَقَالَ :

ـ الْآنَ عَرَفْتُ السِّرَّ فِي اهْتِمَامِكَ بِالْبُرْتُقَالِ ! ! إِنَّكَ

نَبْحَثُ عَنْ عَرُوسٍ ! !

فَقَالَ سَعِيدٌ وَهُوَ يَتَكَلَّفُ الْجِدَّ فِي الْحَدِيثِ :

ـ أَمَّا الْآنَ فَلَا يَا حُسَيْنُ ! ! وَلَكِنِّي لَا أُنْكِرُ أَنَّنِي قَضَيْتُ مُدَّةَ طُفُولَتِي كُلَّهَا، وَجُزْءًا كَبِيرًا مِنْ أَيَّامِ شَبَابِي، أَحْلُمُ بِهَذِهِ الْعَرُوسِ الْأُسْطُورِيَّةِ الرَّائِعَةِ، وَكُنْتُ أَقْضِي أَكْثَرَ وَقْتِي فِي بَسَاتِينِ الْبُرْتُقَالِ، وَكُلَّمَا قَطَفْتُ ثَمَرَةً مِنْ ثِمَارِهَا وَضَعْتُهَا جَنْبَ أُذُنِي، لَعَلِّي أَسْمَعُ مِنْهَا صَوْتًا عَذْبًا .. بَلْ كُنْتُ لَا أَسْتَعْمِلُ السِّكِّينَ فِي تَقْشِيرِ الْبُرْتُقَالَةِ كَمَا يَفْعَلُ النَّاسُ أَحْيَانًا، خَشْيَةَ أَنْ أَجْرَحَ الْأَمِيرَةَ الَّتِي فِي جَوْفِهَا ! !

وَكُنْتُ كُلَّمَا تَقَدَّمَتْ بِى السِّنُّ ، عَرَفْتُ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَشْيَاءَ وَأَشْيَاءَ .. عَرَفْتُهَا بِالْمُلاحَظَةِ الدَّائِمَةِ ، وَعَرَفْتُهَا بِالْقِرَاءَةِ فِي الْكُتُبِ الْمُخْتَلِفَةِ !!

هَلْ تَعْلَمُ يَا حُسَيْنُ أَنَّ هَذِهِ الثَّمَرَةَ اللَّذِيذَةَ الطَّعْمِ ، تُعْتَبَرُ بِحَقٍّ مِنْ أَغْنَى الْفَوَاكِهِ بِالْغِذَاءِ، وَلَا يَزِيدُ عَلَيْهَا فِى قِيمَتِهِ الْغِذَائِيَّةِ إِلَّا التُّفَّاحُ !!

إِنَّهَا يَا صَدِيقِى مَعَ رُخْصِ ثَمَنِهَا تَحْتَوِى عَلَى أَكْثَرِ الْفِيتَامِينَاتِ الَّتِى تُكْسِبُ الْجِسْمَ نَشَاطَهُ وَحَيَوِيَّتَهُ !!

أَلاَ تَعْجَبُ مَعِى يَاحُسَيْنُ حِينَمَا تَعْرِفُ أَنَّ هَذِهِ الْفَاكِهَةَ الَّتِى تَظْهَرُ فِى الشِّتَاءِ تَحْتَوِى عَلَى أَكْبَرِ قَدْرٍ مِنْ فِيتَامِينِ (سِى) الَّذِى يَقِى الْإِنْسَانَ أَمْرَاضَ الْبَرْدِ ، فَضْلاً عَنِ احْتِوَائِهَا عَلَى قَدْرٍ مُنَاسِبٍ مِنَ السُّكَّرِ وَالدُّهْنِ وَالْأَمْلاَحِ وَالْحَوَامِضِ ، وَالْبُرُوتِينَاتِ الَّتِى يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْجِسْمُ ، فِى غِذَائِهِ وَنَشَاطِهِ وَحَيَوِيَّتِهِ !!

فَقَالَ حُسَيْنٌ :

— إِنَّهَا قُدْرَةُ اللَّهِ يَاسَعِيدُ ، الَّتِى

سَخَّرَتْ كُلَّ شَىْءٍ لِخِدْمَةِ الْإِنْسَانِ فِى هَذَا الْكَوْكَبِ الَّذِى نَعِيشُ فَوْقَ ظَهْرِهِ ! !

و و و

وَعِنْدَئِذٍ ابْتَسَمَ سَعِيدٌ ابْتِسَامَةً حُلْوَةً وَقَالَ :

— مَا أَعْجَبَ شَأْنَ الْقِصَصِ وَالْأَسَاطِيرِ الَّتِى نَقْرَؤُهَا أَوْ نَسْمَعُهَا فِى طُفُولَتِنَا !! إِنَّهَا كَثِيراً مَا تَرْسُمُ لِلْوَاحِدِ مِنَّا طَرِيقَ حَيَاتِهِ فِى الْمُسْتَقْبَلِ ، وَتَقُودُهُ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِى أَعَدَّتْهُ الْحَيَاةُ مِنْ أَجْلِهَا ! !

فَنَظَرَ إِلَيْهِ حُسَيْنٌ كَأَنَّمَا يَسْتَفْهِمُ ، فَقَالَ سَعِيدٌ :

— لَوْلَا قِصَّةُ جَدَّتِي هَذِهِ ، مَا تَنَبَّهْتُ إِلَى مَزِيَّةِ الْبُرْتُقَالَةِ ، وَمَا عُنِيتُ بِدِرَاسَتِهَا هَذِهِ الْعِنَايَةَ الَّتِي خَلَقَتْ مِنِّي مُهَنْدِسًا زِرَاعِيًّا ، مَلْحُوظَ الْمَكَانَةِ فِي دُنْيَا الْبَسَاتِينِ وَالْحَدَائِقِ !!

فَأَجَابَهُ حُسَيْنٌ وَهُوَ يَبْتَسِمُ :

— صَدَقْتَ يَا أَخِي !!


حديقة الطفل
ظهر منها
١ ـ السمكتان المتوحشتان
٢ ـ الابرة العجيبة
٣ ـ قطقوطة الجميلة
٤ ـ قطعة النهب
٥ ـ بحيرة الذئب
٦ ـ التمثال الباكى
٧ ـ صانعة البطل
٨ ـ هدية القزم
٩ ـ مزرعة الأرنب
١٠ ـ دموع التماسيح
١١ ـ من أخلاق العرب
١٢ ـ فرقة موسيقى
١٣ ـ الطائر الأخضر
١٤ ـ ذو الرداء النهبى
١٥ ـ شجره النهب
١٦ ـ جندى يعود
١٧ ـ بيت العرائس
١٨ ـ حياة جديدة
١٩ ـ العرش الطائر
٢٠ ـ تاج الهدهد
٢١ ـ الطبال الصغير
٢٢ ـ مع ملك البحار
٢٣ ـ أحذية الامبرات
٢٤ ـ التفاحة العجيبة
٢٥ ـ رأس شيطان
٢٦ ـ ثورة جزيرة
٢٧ ـ مغنى الامبراطور
٢٨ ـ الصندوق الطائر
٢٩ ـ خرطوم الفيل
٣٠ ـ أرض الأحرار
٣١ ـ بنت أمير الشمس
٣٢ ـ أميرة البرتقال
تطلب من مكتبة مصر
دار مصر للطباعة